

التيوتوية

للدكتور عمر حليق

إليه في تحالف وتعاون وتضامن في المبدأ والسلوك السياسي بيت
بعضها بعضا وفي علاقاتها مجتمعة مع العالم الخارجي
ولعل في استمرار حركة المارشال تيتو الانفصالية عن
موسكو ما يلقى ضوءا نافعا على ناحية هامة في العقيدة الشيوعية
ومستقبل نشاطها في الشؤون العالمية

انفردت يوغسلافيا من بين الأمم الأوروبية خلال الحرب
العالمية الأخيرة بأنها الأمة الوحيدة التي استطاعت أن تقهر
الاحتلال النازي قبل أن تلوح بوادر الهزيمة على ألمانيا النازية .
ففي حين أن حركات المقاومة السرية في الدول الأوروبية التي
احتلتها جيوش هتلر كانت حركات ضعيفة مقبدة النشاط محدودة
الأثر .. كانت حركة التحرر من الاحتلال النازي في يوغسلافيا
واسعة النطاق قائمة النشاط عمّت الأكتية الساحقة من الشعب
اليوغسلافي ومكنته من أن يحتفظ بأجزاء واسعة من بلاده حرة
طليقة لم تقو على استعبادها القوات النازية الرابطة في دساكر
يوغسلافيا ومعاقبتها الرئيسية . وكان عزم اليوغسلافين وبأسهم

ليست التيوتوية (نسبة إلى المارشال تيتو عاهل يوغسلافيا
الشيوعية اليوم) مجرد خلاف عارض بين دولتين شيوعيتين
بواعثه خصومة سياسية أو حزازات شخصية بين ستالين وتيتو ،
أو اختلاف على زعامة الشيوعية العالمية التي اشترك هذان القطبان
الماركسيان في خدمتها سنوات طويلا ، أداتها مؤامرة مزيفة بين
قطبين شيوعيين يخدمان هدفا واحدا ؛ إنما هي « ردة »
أيديولوجية جذورها في خلاف فكري عميق على مسألة دقيقة في
التعاليم الماركسية تتعلق بتحديد العلاقات بين الدول اتحدت
الشيوعية نظاما لها — تمهيد يفسد على موسكو (وهي كعبة
الشيوعيين) مركزيتها وسيطرتها المباشرة على النشاط الشيوعي
في كل مكان ، ويوفر للدول الشيوعية خارج الأتحاد السوفيتي
حرية في التصرف تحالف مبدأ الوحدة الشيوعية العالمية وما تدعو

ما عقدت له هذا المقال

المدارس ياسيدي تفسد بناتنا ، وتعلمن التكشف وتسوقهن
إلى شفا المحرمات . وكمن من مسترة ماتعت السفور إلا في المدارس ،
وكمن من متمسكة بمادات البلاد وأوضاع الإسلام . ما جراها على
الخروج عليها إلا المدارس

أليست المدارس تجبر البنات البائعات على كشف أخفادهن
في درس الرياضة في المدرسة ؟ أليأتى الفتش مثلا فيراهن على هذه
الحال ؟ ومن في المدرسة من المعلمين الرجال ؟ ! أليست المدارس
تعلمن الرقص التوقيعي ، وفي الشام رقص السباح . وهو طريق إلى
الفاحشة ، وباب من أبواب الفساد

ألا تكشف العورات في العرض الرياضي العام أمام الآلاف
من الرجال وتأتي هذه المجلات الآتمة فتشر صورة ذلك في الدنيا
كلها ، حتى يراها كل من لم يكن رآها
والاختلاط في الجامعة ؟ هل يرضى به الإسلام ؟ هل تفره
سلائق العروبة ؟ أما رأيتم من مفسده وشروبه ما لا يجوز إيقاه

يوما واحدا ؟

وهذا طرف مما نشكوه من المدارس ، ولقد جاء مرة وزير
للمعارف صالح مصلح اسمه مرسى بدر . شرع في الإصلاح ، تخاف
لصوص الأعراض أن يسد دونهم الأبواب والنوافذ ، فقاموا عليه
حتى أخرجوه . نخذ ياسيدي بالإصلاح فهذا طريقه ، واقض على
الفساد فهذا رأسه ، واقطع شجرة الشر من جذورها ، فإن الرجاء
متوط بك ، والأمل معقود عليك ، وإلا تستطع ذلك لم يستطعه
أحد بعدك

أخذ الله بيدك ، وسدد خطاك ، وجزاك عن الحق والحريه
والشعب والأخلاق خير الجزاء ، وجعل كل رجال الانقلابات ،
وأصحاب السلطات ، مثلك

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

(ع)

دشق

الأخرى على نحو ما فعلته العناصر الشيوعية في الصين عندما تألفت مع العناصر القومية في محاربة الاستعمار الياباني وغزوه المسلح للقارة الصينية

ولقد لعبت الحركة الشيوعية في يوغسلافيا أدوارا مماثلة لتلك التي قامت بها الحركة الشيوعية في الصين من حيث أنها تسربت إلى القوات المسلحة والجهاز الحكومي والسلطة الشرعية التي كانت تحارب الاحتلال الياباني، فما إن تمت هزيمة النازيين حتى قامت العناصر الشيوعية في يوغسلافيا باستخلاص الحكم والسلطة من الحكومة الشرعية والقضاء على النظام الملكي والعناصر التي كانت تسانده؛ وتلك التي تعاونت مع الألمان الفزاة. وكان المارشال تيتو - زعيم الحركة الشيوعية في يوغسلافيا - وثيق الصلة بستالين وبالقيادة العليا للحركة الشيوعية العالمية التي كان المارشال اليوغسلافي من أبرز أعضائها، إذ سبق له أن مثلها لدى الجيش الشيوعي الإسباني خلال الحرب الإسبانية الأهلية التي انتهت بفوز الجنرال فرانكو على خصومه الشيوعيين

وأخذ المارشال تيتو يطبق في يوغسلافيا ما تلقنه من تعاليم ماركس وشروخ لينين وستالين عليها عندما كان المارشال لاجئا سياسيا في موسكو وصديقا شخصيا لستالين

وفي يونيو عام ١٩٤٨ - بعد ثلاث سنوات من استتباب النظام الشيوعي في يوغسلافيا فوجئ العالم بمخومة علنية بين تيتو وستالين، وقطيعة حادة بين روسيا السوفيتية ويوغسلافيا الشيوعية، شغلت العالم في تلك الآونة وكانت حديث الناس في كل مكان

فلاول مرة في تاريخ الحركة الشيوعية يشق عضو من أبرز أعضائها عصا الطاعة على موسكو ويعرض نفسه وبلاده لخطر «التأديب» الروسي الذي كانت جيوشه على حدود يوغسلافيا في البلقان وأوروبا الوسطى الخاضعة لتنفيذ السوفيتي

ولكن يوغسلافيا ومارشالها استطاعا أن يحتفظا برأسيتها عابمين فوق الماء، وأن يضمنا لونا من الموازنة العسكرية والسياسية من المسكر الغربي - خصم الاتحاد السوفيتي - رغم أن يوغسلافيا ظلت بلدا شيوعيا في أنظمتها ومبادئها وأهدافها ومبادئها

ولأول مرة سجلت قواميس اللغة كلمة «التيتوية» علما على

في مقاومة الاحتلال الألماني على أشده حتى بعد أن رضيت الحكومة اليوغسلافية الشرعية آتذ أن تهادن النازية وتتعاون معها وتخضع لسيئتها. وقد حقق هذا العزم لحركة التحرر جيشا منظما وجهازا إداريا انتزع السلطة من الحكومة اليوغسلافية الشرعية التي أصبحت آلة في يد القوات النازية المحتلة، وما إن لاحت بوادر الهزيمة الألمانية في البيادين الأوربية الأخرى حتى أسرع هذا الجيش اليوغسلافي الحر وجهازه الإداري المنظم فطرد الألمان إلى غير عودة، وأقصى معهم الحكومة اليوغسلافية الشرعية التي تعاونت معهم - بما فيها النظام الملكي الذي فر من الميدان في وقت مبكر

ومع أن حلفاء الغرب كانوا يمدون جيش التحرر اليوغسلافي ببعض الذخيرة والعتاد العسكري والموتة الأدبية إلا أن الفضل في انتصاره يعود إلى وطنية الشعب اليوغسلافي وتضحيته فوق كل شيء آخر. وعلى ذلك ظل اليوغسلافيون مؤمنين بأن تحريرهم لبلادهم من سيطرة النازية كان مجهودا يوغسلافيا محتالا فضلا لأحد فيه - لا لحلفاء الغرب ولا لروسيا السوفيتية

إلا أن انتغال ستالين ومكتبه السياسي بالحرب النازية وممارك الشتاء على حدود موسكو ولينتنفراد لم تله صناع السياسة الشيوعية الروس عن مراقبة مستقبل القارة الأوربية - ومستقبل يوغسلافيا على وجه الخصوص من حيث أنها منفذ حسن لبياء البحر الأبيض المتوسط الدافئة على رمية حجر من الشاطئ الأفريقي الذي كان ولا يزال يحتل مركزا هاما في خطط العسكريين والمسؤولين عن سياسة الحرب في التاريخ الماصر. أضف إلى ذلك أهمية اكتساب بلد كيوغسلافيا كقاعدة شيوعية في منطقة البلقان التي كانت ولا تزال حدار رئيسيا من حدود المجتمع الشيوعي الأكبر التي نصبت روسيا السوفيتية نفسها وكيلة بتشبيبه محققة بذلك تعاليم ماركس وشروخ لينين وستالين عليها مما لا يتسع المجال في هذا المقال لاستعراضه

وقد ساعد روسيا السوفيتية على دوام الاتصال بالتطورات في الوضع اليوغسلافي خلال الحرب العالمية الأخيرة ذلك النشاط الواسع الذي قامت به العناصر الشيوعية اليوغسلافية في محاربة الاحتلال النازي متعاونة مع العناصر الوطنية اليوغسلافية

السوفيتي « وبين الدول الشيوعية المتتمة إليه كما يعترف وزير الدولة الشيوعياتي « ميلوفان دجيلاس » في عدد أبريل سنة ١٩٥١ في مجلة الشؤون الدولية اللندنية

ثم إن هناك تطورا آخر على قسط كبير من الأهمية في مستقبل الحركة الشيوعية العالمية عقيدة وتطبيقا لتطور مجسم عن القطيعة بين موسكو والمارشال تيتو، وهو أمر عيس صميم التعاليم الماركسية وشروح لينين وستالين عليها - وهي إنجيل الشيوعيين في كل مكان. فالحركة الشيوعية في يوغسلافيا تمر الآن في انقلاب فكري خطير مبعثه نضال المارشال تيتو لبناء المجتمع اليوغسلافى على أسس ماركسية صادقة دون أن ينتظر العون والتأييد والإرشاد والتوجيه من الاتحاد السوفيتي ومن « الكومنفورم » (٢) الذى هو في الواقع دائرة عظيمة النفوذ تابعة لوزارة الخارجية الروسية. ولقد وجد المارشال تيتو نفسه منفردا في مسعاه يواجه تحديا عنيفا في منطقة النفوذ الشيوعى في أوروبا الشرقية والبلقان ويتقاعس عن الارتقاء كليا في أحضان المعسكر الغربى

ولكن الفزل السياسى والدبلوماسى الذى أخذ يزداد في الآونة الأخيرة بين يوغسلافيا وبين دول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية شق الطريق إلى صميم المجتمع اليوغسلافى الشيوعى وحمل إليه ألوانا من الفكر والأدب والفن الغربى « الرأسمالى » فأوجد تشويشا في الفكر والثقافة والعقيدة الشيوعية السائدة بين ولاية الأمور في يوغسلافيا وبين طبقات المجتمع اليوغسلافى. فالأفلام الأمريكية، والقصص والبحوث الفرنسية، والمصحف والمجلات البريطانية، وجوقات الموسيقى والمسرح الأوربية والأمريكية.. أصبحت الآن أشياء مألوفة لدى المواطنين اليوغسلافيين، بعد أن انقطعت صلتهم بالحياة والفكر الغربى عشر سنوات طوال

وتتج عن هذه النزوة الثقافية أن تأثر عدد من أبرز أعضاء

الشيوعية « القومية » التى تميئش على نظام ماركسى بحت، ولكنها لا ترتبط بالحركة الشيوعية العالمية عن طريق مركزها الروحى والإدارى في موسكو

وليس المهم أن تعرف هنا دقائق الراحل التى تمت بها هذه القطيعة بين البلدين الشيوعيين - بين موسكو والمارشال تيتو ريبها السابق (١)، إنما المهم أن نأخذ بما يؤكده معظم الخبراء في شؤون يوغسلافيا من أن هذه القطيعة قد تمت وأنها ليست مزيفة كما يعتقد بعض الناس

ووجه الخطورة في هذه القطيعة أنها تستند إلى خلاف جوهرى على مبدأ أساسى من مبادئ الفكر الماركسى.. ألا وهو تحديد السلطة المركزية التى يمارسها « الوطن الأم » وهو أول بلد يتوطد فيه النظام الشيوعى - على بقية الدول الشيوعية التى تنتمى إليه بالولاء وتشاركه في السلوك وتؤمن بما يؤمن به من ضرورة تشييد المجتمع الشيوعى الأكبر في هذا العالم المترامى الأطراف

ذلك لأن المارشال تيتو وأعوانه في الحكم لا يزالون يؤمنون ويطبقون التعاليم الشيوعية كاملة في يوغسلافيا، ولا يزالون يعتقدون بأنها أفضل النظم للعالم بأسره، ولا يزالون تواقين لنامرة الحركات الشيوعية في كل مكان كما تشهد بذلك مواقف الحكومة اليوغسلافية في هيئة الأمم وفي خارج هيئة الأمم في دفاعهم عن وجهة النظر الشيوعية في معظم المشاكل الدولية التى دعيت يوغسلافيا لإبداء رأى فيها، أو تولت - غير مدعوة - لإبداء الرأى، (٢) ولكن المارشال تيتو يرفض أن يمثل لزعامه موسكو وهذا الرفض هو سر القطيعة بين تيتو وستالين

ومما لا ريب فيه أن هذا الخلاف مبعثه حدة القومية اليوغسلافية ورفضها الانقياد لدولة أجنبية حتى لو كان في ذلك خروجا على المبدأ الماركسى الذى يصر على العمل الموحد والتناسق الدقيق بين الوطن الشيوعى المركزى « وهو الآن الاتحاد

(١) أصدرت جامعة هارفرد مؤخرا دراسة ثانية عن هذا الموضوع
(٢) تصدر الحكومة اليوغسلافية مجلة خاصة بالشؤون الخارجية تسجل فيها آراءها في المشاكل الدولية وتطبع بغير ائنة اليوغسلافية للاستهلاك الخارجى منافسة بذلك مجلة « الكومنفورم ». لأن حال القيادة الشيوعية العالمية

(٢) الكومنفورم هو الاسم الجديد لقيادة العليا للحركة الشيوعية العالمية. وكانت هذه القيادة تعرف إلى ما قبل الحرب العالمية الأخيرة باسم آخر هو « الكومنترون » إلى أن ارتأى ستالين إلغاء هذه القيادة دفعا لأذى الدول الرأسمالية في السنوات التى سبقت الحرب العالمية الأخيرة ومنهول سنوات الحرب. ثم أعيد تشكيل هذه القيادة للحركة الشيوعية العالمية في سنوات ما بعد الحرب وأطلق عليها اسم « الكومنفورم ». ولها لسان حال يصدر بانتظام في لغات أجنبية عديدة

« الكومنفورم » لبناء المجتمع الشيوعي . انتقدها انتقادا لاذعا ووصف الاتحاد السوفيتي بأنه دولة استعمارية سلاحها البطش والعدوان

ومن هذه الأهداف كذلك تحرير الجهاز الحكومي في يوغسلافيا الشيوعية من المركزية الصارمة ، واقتباس نواح من فن الإدارة «الديمقراطية» المصطلح على اتباعها في الغرب ، بحيث تفتق من المارشال تيتو وحكومته التهم «الدكتاتورية» الموجهة إليه من أوساط الغرب ومن بعض الأوساط اليوغسلافية التي تأثرت بالغرب وآرائه ومعتقداته وتحليلاته السياسية عن الوضع اليوغسلافي

وأخذ التفسير اليوغسلافي الجديد للشيوعية يتفلسف ما استطاع ليجعل من المارشال تيتو صورة تخالف الصورة المبهودة في الغرب عن ستالين ؛ وهي صورة الحاكم المستبد الذي لا مرد لأمره ، والذي يستند في تنفيذ مآربه إلى جهاز دقيق من البوليس السرى ، فيتمتع الناس ويمترق آراءهم ويبطش بهم إذا ألت بهم شعبية أو أضحروا سوءا للمهد القائم

وخلاصة القول في هذه الإيديولوجية الشيوعية الجديدة التي يحاول تيتو بواسطتها التوفيق بين ماركسيته ورأسمالية أصدقائه الجدد في المعسكر الغربي .. أنها كما قال وزير الدولة اليوغسلافي « ميلوفان دجيلاس »

«استنباط فكري لاسابق له . فيلادنا الصغيرة (يوغسلافيا) بلاد جريحة ولم يكتمل نموها بعد. وعليها^(٤) أن تناضل للتنمية مراقبها فحسب بل لصيانة كيانه القومي»

أليست هذه المحنة التي دفع إليها الشعب اليوغسلافي أشبه بالحن التي تناب معظم البلدان في آسيا وفي شرقنا الأوسط؟ — بلاد متخلفة تحاول أن تنمي مراقبها وتقوى كيانه القومي في آن واحد ، وفي وجه تيارات سياسية واقتصادية وثقافية تهب عليها من الفريقين المتخاصمين اللذين يهيمنان على مقدرات العالم هذه الأيام

عمر هليس

نيويورك

الحزب الشيوعي في يوغسلافيا ، وصناع السياسة وقادة الفكر فيها بهذه التيارات الفكرية ، وظهر هذا التأثير في موجات من النقد الخافت الموجه إلى النظام الشيوعي وأساليب طبيقه ؛ الأمر الذي أزعج المارشال تيتو وأعوانه الخالص من الماركسيين المتعصبين للتعاليم الشيوعية . وقد أعرب عن هذا الانزعاج المارشال نفسه في خطاب ألقاه مؤخراً^(٤) ، ندد فيه بهذه الشعبية وود لو أن يوغسلافيا ظهرت نفسها من هؤلاء الشمويين ، حتى لو استدعى ذلك إقصاء مائة ألف شخص من عضوية الحزب الشيوعي .. وهذا تعبير يعكس ما يمتري المارشال من قلق وانزعاج

وكرر (موشى كروجلي) وزير خارجية تيتو هذا التنديد في تصريح آخر حذر فيه هؤلاء الشمويين بأن من حق الدولة الشيوعية ومن واجبها أن تضع حدا للتيارات الشعبية التي أخذت تنتشر في أوساط المجتمع اليوغسلافي بفعل البضاعة الفكرية الواردة من أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية

وقد عزز المارشال تيتو القول بالعمل ، فأخذ يقصى عن مراكز الحكم نفرا من أم أعوانه من الذين ألما بهذه الشعبية لكنه لم يستطع أن يضع حدا لهذا الاتجاه الطارىء ، فلم يفرض رقابة على البضاعة الفكرية الواردة من أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية خشية أن يفقد عطف المعسكر الغربي بعد أن اختار القطبية التامة مع المعسكر السوفيتي

ولم يجد تيتو بدا من أن يلجأ إلى المساومة . فاختار نفرا من قادة الفكر الشيوعي في يوغسلافيا وكلفهم بوضع تفسير جديد للتعاليم الشيوعية يوفق بين جوهر الفلسفة الماركسية وبين بعض النظريات والبادئ السياسية والاقتصادية والثقافية التي تعيش عليها الدول والمجتمعات في أوروبا الغربية والعالم الجديد^(٥) وتوخى هذا التفسير الجديد أهدافا محدودة منها التأكيد بصلاح الشيوعية لتشييد المجتمع المثالي ليوغسلافيا ولجميع الشعوب ومنها رفض أساليب ستالين ومكتبه السياسي وسياسة

(٤) أبريل سنة ١٩٥٢ في حفل من لشعبية اليوغسلافية

(٥) في بحث من « آراء حول تيتو » نشرته مجلة الإيكونوميست البريطانية في ٣١ مايو سنة ١٩٥٢